

مندور»، أي أن الأدب يستطيع أن يقدم لنا أحداثاً وشخصيات على نحو يوهنا بأن تلك الأحداث وقعت، أو يمكن أن تقع، بالفعل، وأن تلك الشخصيات عاشت، أو يمكن أن تعيش بالفعل. ومعنى هذا أن الأديب الحق هو الذي يخلق الحياة التي تضارع الحياة الطبيعية التي تعد «عماد العمل الفني»⁽⁴⁾، كما يقول الدكتور «رشاد رشدي».

وإذا كان الأمر كذلك فإننا نتساءل الآن: هل استطاع الحكيم - بصفته أديباً - أن يوهنا بالحياة في مسرحه؟ أو هل استطاع أن يخلق شيئاً في مسرحه يماثل الحياة الطبيعية.

الحقيقة أن الحكيم لم يستطع أن يقدم لنا حوادث أو شخصيات تشبه نظيرها في الحياة الطبيعية إلا نادراً.

فالحكيم لا يقدم لنا أحداثاً مقنعة أو منطقية، أو شبيهة بالأحداث الطبيعية في الحياة، وإنما يقدم لنا أحداثاً تقوم على افتراضات فكرية يفترضها هو نفسه، أو يفترضها القصص الديني، أو الأساطير الفولكلورية، ثم يأخذ بعد ذلك في معالجة النتائج التي يمكن أن تتولد عن هذه الافتراضات أو تحققت⁽⁵⁾. هذا ما يفعله الحكيم في الغالب.

وكذلك فإن الحكيم لا يخلق لنا شخصيات مقنعة تسري في شرايينها دماء البشر، وإنما يقدم لنا شخصيات مجردة لا تتميز بصفات خاصة تحدد أبعادها الحسنية والنفسية والاجتماعية، وتجسدها تجسداً حياً. ونستطيع أن ستأنس إلى ما نقول بعدة شخصيات في مسرح الحكيم.

فشخصية «إيزيس»، مثلاً، شخصية أسطورية تعمر عن رأي الحكيم في قضية الصراع بين الواقع والمثال⁽⁶⁾، وفي المرأة المضحية بسعادتها من أجل زوجها، وليس لها كيان ذاتي مستقل، حتى ولو صح ما يذهب إليه الدكتور «لويس عوض» من أن الحكيم جردها من «جلالها الأسطوري القديم، ومن معانيها الرمزية الخالدة»⁽⁷⁾.

و«شهرزاد» شخصية فكرية مطلقة لا تعكس امرأة بعينها، ويلفها صباب